جزء الأربعين
في البشارة والشهادة للمؤمنين

تصنيف



أستاذ قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة – جامعة الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد الله الذي جعل الأخوّة والمحبة بين عباده المؤمنين آية منه وفضلا، ورحمة بهم ووصلا، فقال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾!

وأظهر لعباده المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة حبه لهم، وحبهم له، فقال لمن ارتدّ عنه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾!

وجعل الثناء عليهم من بعضهم من عاجل البشرى لهم؛ فقال عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾!

وصلى الله وسلم على نبينا محمد البشير والبشرى، والرحمة الكبرى، وبعد:

فهذا جزء حديثي في أربعين حديثا صحيحا مرفوعا إلى النبي ﷺ، في حقيقة حب الله لعبده المؤمن، وكيف يعرف ذلك العبد من نفسه، ومن حاله مع ربه، وبما يعرفه المؤمنون منه، والشهادة منهم له بذلك، وما يظهر

له من البشرى بالإيمان والعمل الصالح، والبشرى بمحبة الله له في الحياة الدنيا، وحقيقة الاستبشار بذلك كله، والفرح ببشارات الله لعباده المؤمنين، عند الإيمان به، وعند العمل الصالح، وعند حضور الموت، وعند الشهادة، وبعد الوفاة.

فقد بشر الله المؤمنين في آيات كثيرة، وأمر رسوله بأن يبشرهم بالهداية، وبالنصر والفتح ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلما تحقق لهم ذلك كله في الدنيا، كما وعدهم وبشرهم الله به، حتى رأوه رأي العين؛ عُلِم يقينا أنه قد تحقق لهم في الآخرة ما وعدهم الله به بلا شك ولا ريب!

وكذلك بشرهم بالفضل من الله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

والغاية من البشرى هو تحقق الاطمئنان والفرح والسرور بها ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾!

وقد جعل الله القرآن هدى وبشرى لهم، فقال عنه: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾!

وخصّ المؤمنين المهاجرين والمجاهدين في سبيله بالبشارة بالرضا والرضوان في الدنيا قبل الآخرة، فقال عنهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾!

وبشر من اتبعهم من بعدهم بإحسان، بما بشرهم به من الرضا والرضوان، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾!

وجعل الشهداء منهم يستبشرون بالأحياء خلفهم، فرحا بقدومهم على ربهم، حين يجدون ما وجدوه قبلهم من تحقق البشارة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾!

وكان النبي ﷺ يبشر كل من جاءه مؤمنا بالبشرى، كما في الصحيحين عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله).

وقبول البشرى -وهي تعمّ كل بشارات القرآن للمؤمنين- هو بتصديقها، والفرح بها، عن اطمئنان ويقين، كأنما يرون ما بشرهم به ربهم رأي العين، والاستبشار بها فرحا وسرورا، فلا يحزنهم الشيطان بالشك في هداية الله لهم إلى الإسلام والإيمان، ولا في حب الله إياهم، ولا في تحقق وعده وبشارته لهم، التي تقتضي الفرح منهم ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾.

فمن لم يجد من نفسه اطمئنانا بوعد الله، وسرورا ببشارته، وفرحا ببشرى الله له وللمؤمنين؛ فقد رد بشارة ربه، وأساء ظنه به، وذلك ينافي شرط الإيمان وكماله، إن لم يناف حقيقته وأصله، وكما في الصحيح: (أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي عبدي ما شاء)!

وكم كثر حول حقيقة البشارة السؤال، واشتد فيها الجدال، كلما توفي أو استشهد عبد صالح مغمور، أو مجاهد صابر مستور، فأشاع الله ذكره، وأطاب الثناء عليه؛ كحال المجاهد عبدالباسط الساروت النعيمي(١) تقبله الله في الفردوس الأعلى، وما أنطق الله به ألسنة الملايين من المؤمنين بالثناء عليه، والشهادة له، وما وضعه الله له من القبول والمحبة في قلوب العامة والخاصة؛ بلا اختيار منهم، وبلا عصبية قومية أو وطنية أو مذهبية أو حزبية تحملهم على ذلك، ولا تسويق إعلامي يستنطقهم ويوجههم؛ كما هو حال المشاهير من الملأ والرؤساء ودعاتهم وعلماء سلطانهم، أو من أهل الفضل والعلم والجهاد ورؤسائهم وأعيانهم، فمع تواضع حال عبد الباسط

(١) مجاهد من الشام ولد سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، كان حارس مرمى لمنتخب سوريا للشباب، وعند انطلاق الثورة السورية المباركة كان من أبرز قياداتها الشعبية في طورها السلمي والجهادي. كان شجاعا مقداما حسن الصوت، اشتهرت له العديد من الهتافات والأهازيج والأناشيد التي كانت تلهب حماسة الجماهير حتى لقب (بلبل الثورة ومنشدها) استشهد في الرابع من شوال ١٤٤٠هـ - ٨ يونيو ٢٠١٩م.

وفقره -إلا من غنى نفس وشجاعة قلب وسمو همة- فقد بسط الله -ولكل من اسمه نصيب- ذكره يوم استشهاده، وكان ذلك كشفا عن حقيقة حاله مع الله، فهذه المحبة التي ظهرت فجأة بين المؤمنين إنما هي روح من روح الله ألقاها عليه ساعة استشهاده، فاستبشر به -بإذن الله- الملأ الأعلى قبل الملأ الأدنى!

وهذا سر من أسرار الله في الخلق يظهر أوضح ما يكون عند وفاة العبد وخاتمة حياته، وكما في الصحيحين عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: (إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها)!

فجعل الخاتمة عند الوفاة هي الدليل الكاشف، ولولا أنها كاشفة عن حال العبد لما كان هناك فرق بين بوادي الأعمال وخواتمها فيما يتراءى للناس!

وربما كان ظاهر العبد على خلاف باطنه، كما في الحديث الصحيح -عند الترمذي- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له! لو أقسم على الله لأبرّه! منهم البراء بن مالك).

ورواه الطحاوي بلفظ: (كم ضعيف متضعف، ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه، منهم البراء بن مالك).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم: (رب أشعث أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره)!

ورواه الحاكم في صحيحه عنه بلفظ: (رب أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبره).

فهذا العبد الذي قد تزدريه عيون الناس لفقره وضعفه وفاقته وقلة ذات يده هو عند الله في مقام من لو أقسم عليه لأبرّ قسمه، إكراما له!

وهذا سر من أسرار الله في خلقه، إذ العبرة بالقلوب والأرواح لا الصور والأشباح، فالأولى من عالم الغيب، والثانية من عالم المادة، وشتان ما بين العالمين!

وكما في الصحيح: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)!

وروى الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن ثوبان عن النبي ﷺ: (إن من أمتي من لو جاء أحدَكم فسأله دينارا لم يعطه، ولو سأله درهما لم يعطه، ولو سأله فلسا لم يعطه، ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه، ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره).

وروى الحاكم في صحيحه -وصححه ووافقه الذهبي- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: (اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله؛ فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة).

وقد أدّى خفاء هذه المعاني القرآنية في الثقافة الإرجائية المعاصرة -مع ظهورها في آيات القرآن ظهورا قطعيا- إلى شيوع روح الشك بها، في هذا

العصر الذي غلبت على أهله الحياة المادية، حتى بين أهل العلم والفضل والصلاح بدعوى أن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله! فلا يشهدون لمؤمن بالبشارة، ولا يفرحون لشهيد بالشهادة!

وقد وافق إعداد هذا الجزء استشهاد الرئيس المصري محمد مرسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على يد الطاغوت في سجنه صابرا محتسبا، فأراد الطاغوت إخفاء أمره، وطمس ذكره، فأبى الله إلا رفعه فأنطق الله الملايين من المؤمنين بالدعاء له والثناء عليه، وضجّت المساجد في مشارق الأرض ومغاربها تصلي عليه صلاة الغائب وتذكر مآثره، بلا حول منه ولا قوة، ولا مال ولا جاه، إلا جاه الجهاد والشهادة التي كتبه الله له على يد أعداء الله ورسله!

وهذا الشعور الجمعي للأمة كلها على اختلاف مكوناتها تجاه قتله؛ يؤكد أن المسلمين أمة واحدة؛ كما قال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم، وتعاطفهم، وتراحمهم؛ كمثل الجسد أو الرجل الواحد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)!

وبقدر تحقق الأخوة الإيمانية بينهم وفيهم؛ يكون التداعي والسهر والحمى! ولا يحرم من هذا التداعي الإيماني لما يصيب أهل الإسلام

والإيمان إلا فئتان، لفقدهما حقيقة الأخوة الإيمانية وانفصالهما عن الأمة شعوريا وانقطاع ما بينهما وبينها من وشائج الموالاة:

١-المنافقون بنص القرآن ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾!

٢-الطغاة والغلاة، كما في الصحيح: (من خرج على أمتي يقتل برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدها، فليس مني أو من أمتي)!

ومع ظهور هذه البشارة الظاهرة للشهيدين مرسي والساروت وغيرهما كثير من المجاهدين والشهداء والصالحين، فقد أبى أهل الإرجاء إلا إثارة الشبه حول جواز إطلاق وصف الشهيد عليهما مع ثبوت أسبابهما الشرعية كما وردت في النصوص!

فعطّلوا البشارات عن مضمونها، وجعلوا للشيطان على أنفسهم وعلى المؤمنين سبيلا فأحزنهم، وبلغ الشيطان -بسوء ظنهم بالله- مراده منهم بإحزانهم وتخويفهم، لا مراد الله منهم الذي بشرهم ليطمئنوا

ويفرحوا ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾!

وكان أصل فتنة الإرجاء قديما في تأجيل أحكام نصوص الوعيد في أهل الظلم وكبائر المعاصي -حين وقع الخلاف في كفرهم- إلى حكم الله فيهم يوم القيامة، فصار الإرجاء المعاصر هو في تعطيل نصوص الوعد للمؤمنين والمجاهدين! حتى استوى عندهم المسلمون والمجرمون في حكم الدنيا فضلا عن الآخرة ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾!

فلا يفرقون بين أهل الإيمان أولياء الرحمن، وأهل النفاق أولياء الطاغوت والشيطان!

وحتى بلغ الحال ببعضهم -بسبب الأهواء والعصبيات الحزبية وغياب الفقه في أحكام الشرع- أنهم يطلقون اسم الشهيد على كل قتيل، وإن كان ظالما مجرما، ويمتنعون من إطلاقه على من يصدق عليهم بالإجماع كالشهداء في معركة الأمة مع عدوها المحتل؛ حتى لا يجرؤ أحد إطلاقه على من جاهدوا الجيوش الصليبية في أفغانستان والعراق واستشهدوا!

ولا يسمون قتلى المسلمين شهداء! استدلالا -كما زعموا في غير محله- بتبويب البخاري في صحيحه: (لا يقال فلان شهيد) في قصة الرجل الذي قاتل أشد القتال حتى أثنى عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لظاهر عمله، فأخبرهم النبي ﷺ أنه من أهل النار، فلما جرح في آخر المعركة؛ قتل نفسه!

ولهذا قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٥/ ٩٢): (قال المهلب: في هذا الحديث ضد ما ترجم له البخاري، أنه لا يقال: "فلان شهيد"، ثم أدخل هذا الحديث وليس فيه من معنى الشهادة شيء! وإنما فيه ضدها! والمعنى الذي ترجم به قولهم: "ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان" فمدحوا جزاءه وغناءه، ففهم الرسول منهم أنهم قضوا له بالجنة في نفوسهم بغَنائه ذلك، فأوحى إليه بغيب مآل أمره لئلا يشهدوا لحي بشهادة قاطعة عند الله ولا لميت، كما قال رسول الله في عثمان بن مظعون: "والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به"، وكذلك لا يعلم شيئا من الوحي حتى يوحى إليه به ويعرف بغيبه).

فهنا استدرك عليهم النبي ﷺ حين شهدوا للرجل، وهو ما يزال حيا قبل وجود سبب الشهادة، حتى ينتظروا خاتمة أمره، وليس فيه المنع من الحكم

بالشهادة لمن تحقق له سببها، ولا المنع من حكمها الدنيوي في عدم غسله والصلاة عليه، كقتيل المسلمين في حربهم مع عدوهم، وكذا المقتول ظلما بيد مسلم باغ أو جائر، أو من ثبتت له الشهادة بالاسم دون الحكم؛ كمن مات غرقا، أو حرقا، أو هدما، ممن حكم لهم النبي ﷺ بأجر الشهادة وفضلها يوم القيامة، دون أحكامها الدنيوية!

وقد أجاب ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٩٠) عن حديث الرجل الذي قتل نفسه وتبويب البخاري له باب "لا يقال فلان شهيد" بقوله: (ووجه أخذ الترجمة منه أنهم شهدوا رجحانه في أمر الجهاد، فلو كان قُتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله، وإنما قاتل غضبا لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا، وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب).

قلت: وهذا كله مع تجرد أسباب الشهادة عن البشارات الأخرى، بحيث يستوي في الظاهر من قاتل رياء وعصبية بمن قاتل في سبيل الله، فلا

يعرف أحد حال الفريقين قبل ذلك، فيكونون سواء في الحكم لهم بالشهادة الدنيوية الظاهرية، أما إذا احتفّت بها القرائن الأخرى، كالاستفاضة والمعرفة بتقوى المجاهد منهم في سبيل الله وابتغائه ما عند الله وصبره وشكره، وظهور حال المنافق الذي يقاتل طمعا ورياء وعصبية، إذ لا يخفى حال الفريقين على من عرفهما، و كما يُرى من حال الشهداء السعداء عند استشهادهم؛ كقول حرام الأنصاري حين طعن: (فزت ورب الكعبة)، وفوح ريح المسك منهم، وشيوع الثناء والدعاء لهم من أهل الإيمان، ووضع القبول لهم في الأرض، والرؤى الصالحة التي ترى لهم، وتيسير الله لهم الطاعات في الحياة، والنطق بالشهادة حين الوفاة، فهذه كلها ترجح حسن حالهم في الآخرة، والفرح لهم من ذويهم ومن المؤمنين بحسن عاقبتهم ومآلاهم عند ربهم!

وإلا لما كان للبشارات معنى، ولا للفرح بها محل، ولا لشهادات المؤمنين وتزكيتهم أثرا!

فلا خلاف بين الفقهاء في أن عدم غسل قتيل المعركة المسلم، وعدم الصلاة عليه -لمن لا يرى غسله من الفقهاء- إنما هو لثبوت وصف الشهادة له في الدنيا بعينه، فهو شهيد قطعا من هذه الحيثية وهو الحكم بالظاهر،

وهذا حكم على أعيان الشهداء، أما الآخرة فبالرجاء لهم بالبشارة، والفرح لهم بتحقق أسبابها لهم في الدنيا، ووعد الله حق وصدق لا يتخلف في الآخرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾!

فإذا لم يستبشر المؤمنون المجاهدون بوعد الله لهم فبم يستبشرون! وبم يفرح إذن المؤمنون!

فوصف الشهادة واسم الشهيد يطلق ظاهرا على كل من أطلقه عليه الشارع، ومنهم المقتول ظلما مطلقا، وقتيل السلطان الجائر بلا خلاف لحديث: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر)، وأسباب الشهادة كثيرة كما تواترت بذلك السنة الصحيحة، كالغريق، والحريق، والهدم، والمبطون، والمطعون، وإنما وقع الخلاف الفقهي في الأحكام الدنيوية، لا في إثبات الوصف والاسم على أعيان كل من ثبت له سبب الشهادة بحكم الظاهر؛ ولا فرق عند الفقهاء بين مسلم صالح أو عاص، وسني وبدعي، في أحكام الشهادة وأسبابها التي تواترت في النصوص،

كقتيل المعركة مع العدو الكافر، والمقتول ظلما، والغريق، والحريق، والمطعون، والمبطون، فكل من ثبت له وصف الإسلام، وتحقق فيه سبب الشهادة، ثبتت له أحكامها، وصح إطلاق الوصف والاسم عليه؛ كما قال الإمام الرافعي الشافعي في العزيز شرح الوجيز للغزالي (٢/ ٤٢٣): (واعلم: أن اسم الشهيد قد يخص في الفقه بمن لا يغسل ولا يصلى عليه، وعلى هذا فقوله: "والشهيد من مات بسبب القتال..." إلى آخره، مجرى على ظاهره، وقد يسمى كل مقتول ظلما شهيدا، وهو أظهر ألا ترى أن الشافعي -رضي الله عنه- يقول في "المختصر": و"الشهداء الذين عاشوا وأكلوا الطعام..." إلى أن قال: "كغيرهم من الموتى" أثبت اسم الشهداء مع الحكم بأنهم كسائر الموتى، وعلى هذا فقوله في الكتاب: "والشهيد من مات" أي: والشهيد الذي ذكرنا أنه لا يغسل، ولا يصلى عليه، وعلى هذا الاصطلاح نقول: الشهداء نوعان:

أحدهما: الذين لا يغسلون ولا يصلى عليهم...

النوع الثاني من الشهداء: العارون عن الأوصاف المذكورة جميعا، فهم كسائر الموتى يغسلون ويصلى عليهم، وإن ورد لفظ الشهادة فيهم،

كالمبطون والغريب والغريق والميت عشقا والميتة طلقا، وكذا الذي قتله ظلما مسلم أو ذمي أو باغ في غير القتال حكمه حكم سائر الموتى.

وبه قال مالك، وهو رواية عن أحمد خلافا لأبي حنيفة، حيث قال: كل من قتل ظلما قتلا يوجب القصاص فهو شهيد، وإن وجب به المال فلا يخرج من ذلك أن المقتول بالمثقل ليس بشهيد فيما نحن فيه، ولم يعتبر في القتال ذلك، بل أثبت حكم الشهادة سواء قتل بالمثقل أو بالمحدد. وقال أحمد في رواية: كل مقتول ظلما فهو شهيد).

وقال الشوكاني في السيل الجرار (١/ ٢٠٨): (وأما المقتول في المصر ظلما فهو وإن كان شهيدا لكنه لم يأت ما يدل على عدم غسله وهكذا المدافع عن نفسه أو ماله ولا ملازمة بين إثبات اسم الشهادة وترك الغسل؛ فقد وردت الأحاديث الصحيحة بإطلاق اسم الشهادة على المبطون والميت بالطاعون، وبالغرق والهدم والمرأة النفاس، وغير هؤلاء نحو الخمسين؛ كما ذكره القرطبي والسيوطي في رسالته وجمعت أنا فيه رسالة فهؤلاء يستحقون أجر الشهادة وهم من جملة المسلمين في أنهم يغسلون.. وقد نقل المهدي في البحر الإجماع على أن سائر من يطلق عليه اسم الشهيد كالطعين

والمبطون والنفساء ونحوهم يغسلون فاقتضى هذا النقل أن يلحق بهم المقتول في المصر ظلما والمقتول في المدافعة عن نفسه أو ماله).

فلم يذكر خلافا في صحة إطلاق الاسم والوصف على هؤلاء بأعيانهم!

وهذا من فضل الله على هذه الأمة ورحمته بها أن خصها بأسباب كثيرة للشهادة رفعا لدرجاتها يوم القيامة، كما تواتر ذلك تواترا معنويا عن النبي ﷺ، وقد نص الحافظ ابن حجر على أنه ثبت منها عشرون سببا، يوصف كل مسلم ثبتت له الوفاة بسبب منها بوصف الشهادة وأحكامها.

فالشهيد هو كل مسلم مات أو قتل بسبب من أسباب الشهادة التي ثبتت بالكتاب والسنة، وقد أخبر النبي ﷺ أن شهداء أمته كثير، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال ﷺ: «من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد». وزاد في رواية: «والنفساء شهادة».

وفي الصحيحين قال ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله».

ومثله حديث جابر بن عبد الله: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله».

وعن جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غلبنا عليك يا أبا الربيع» فصاح النسوة وبكين وجعل ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله ﷺ: «دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية» فقالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «إذا مات» قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيدا فإنك كنت قد قضيت جهازك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته وما تعدون الشهادة؟» قالوا: القتل في سبيل! فقال رسول الله ﷺ: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد».

وقد عقد ابن حبان باب (ذكر تفضل الله جل وعلا على من قتل من أجل ماله إذا تعدي عليه بكتبه الشهادة له) وأخرج عن أم سلمة أن النبي ﷺ بينا هو في بيتها وعنده نفر من أصحابه إذ جاءه رجل فقال: (يا رسول الله كم صدقة كذا وكذا من التمر؟ قال: كذا وكذا، قال الرجل: فإن فلانا تعدى علي وأخذ مني كذا وكذا! فقال النبي ﷺ: « فكيف إذا سعى عليكم من يتعدى عليكم أشد من هذا التعدي» نخاض القوم في ذلك فقال الرجل منهم: فكيف بنا يا رسول الله إذا كان الرجل منا غائبا في إبله وماشيته وزرعه ونخله فأدى زكاة ماله فتعدى عليه الحق فكيف يصنع يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «من أدى زكاة ماله، طيبة بها نفسه، يريد بها وجه الله والدار الآخرة، ثم لم يغيب منها شيئا، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فتعدى عليه الحق فأخذ سلاحه فقاتل فقتل فهو شهيد» قال أبو حاتم ابن حبان: (معنى هذا الخبر إذا تعدى على المرء في أخذ صدقته أو ما يشبه هذه الحالة، وكان معه من المسلمين الذي يواطئونه على ذلك وفيهم كفاية، بعد أن لا يكون قصدهم الدنيا ولا شيئا منها، دون إلقاء المرء نفسه إلى التهلكة إذ المصطفى ﷺ قال لأبي ذر: «اسمع وأطع ولو عبدا حبشيا مجدعا» وقال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»).

وأخرج أيضا في صحيحه باب (ذكر إيجاب الجنة وإثبات الشهادة لمن قتل دون ماله قاتل أو لم يقاتل) عن سعيد بن زيد أن النبي ﷺ: «قال من قتل دون ماله فهو شهيد».

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من قتل دون ماله مظلوما فهو شهيد».

وعن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٣): (وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة، فإن مجموع ما قدمته مما اشتملت عليه الأحاديث التي ذكرتها أربع عشرة خصلة، وحديث أبي مالك الأشعري مرفوعا «من وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه على أي حتف شاء الله تعالى فهو شهيد»، وصحح الدارقطني من حديث ابن عمر «موت الغريب شهادة»، ولابن حبان من حديث أبي هريرة: «من مات مرابطا مات شهيدا»، وللطبراني من حديث ابن عباس

مرفوعا «المرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد»، وقال ذلك أيضا في المبطون، واللديغ، والغريق، والشريق، والذي يفترسه السبع، والخار عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب، ومن طلب الشهادة بنية صادقة أنه يكتب شهيدا، وحديث فيمن صبر في الطاعون أنه شهيد، وحديث عقبة بن عامر فيمن صرعته دابته وأنه شهيد عند الطبراني، وعنده من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح «أن من يتردى من رؤوس الجبال، وتأكله السباع ويغرق في البحار لشهيد عند الله»، ووردت أحاديث أخرى في أمور أخرى لم أعرج عليها لضعفها، قال ابن التين هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء ويدل عليه ما روى أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث جابر والدارمي وأحمد والطحاوي من حديث عبد الله بن حبشي، وابن ماجه من حديث عمرو بن عنبسة أن النبي ﷺ سئل: «أي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه»، وروى الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة له بإسناد حسن من حديث علي بن أبي طالب قال: «كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل») .

وقال الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (١/ ٣٢٣): (وإذا عرف شرائط الشهادة فنقول: إذا قتل الرجل في المعركة، أو غيرها وهو يقاتل أهل الحرب، أو قتل مدافعا عن نفسه، أو ماله، أو أهله، أو واحد من المسلمين، أو أهل الذمة فهو شهيد سواء قتل بسلاح، أو غيره؛ لاستجماع شرائط الشهادة في حقه فالتحق بشهداء أحد، وكذلك إذا صار مقتولا من جهة قطاع الطريق؛ لأنه قتل ظلما لم يخلف بدلا هو مال دل عليه قوله: - عليه الصلاة والسلام "من قتل دون ماله فهو شهيد"، وهذا قتل دون ماله فيكون شهيدا بشهادة النبي ﷺ ، وكذا إذا قتل في محاربة أهل البغي).

وقد عد العيني أسباب الشهادة نحو أربعين سببا ثم قال كما في عمدة القاري (١٤/ ١٢٧): (الشهيد الحقيقي هو قتيل المعركة وبه أثر، أو قتله أهل الحرب، أو أهل البغي، أو قطاع الطريق، سواء كان القتل مباشرة أو تسببا، أو قتله المسلمون ظلما، ولم يجب بقتله دية، فالحكم فيه أن يكفن ويصلى عليه، ولا يغسل ويدفن بدمه وثيابه إلا ما ليس من جنس الكفن، هذا كله عند أصحابنا الحنفية، وعند الشافعي: من مات في قتال أهل الحرب فهو شهيد، سواء كان به أثر أو لا، ومن قتل ظلما في غير قتال الكفار أو خرج في قتالهم ومات بعد انفصال القتال، وكان بحيث

يقطع بموته ففيه قولان: في قول: لم يكن شهيدا، وبه قال مالك وأحمد، وفي المغني: إذا مات في المعترك فإنه لا يغسل رواية واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، ولا نعلم فيه خلافا إلا عن الحسن وابن المسيب فإنهما قالا: يغسل الشهيد، ولا يعمل به، وأما ما عدا ما ذكرناهم الآن فهم شهداء حكما لا حقيقة، وهذا فضل من الله تعالى لهذه الأمة بأن جعل ما جرى عليهم تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجرهم بلغهم بها درجات الشهداء الحقيقية ومراتبهم، فلهذا يغسلون ويعمل بهم ما يعمل بسائر أموات المسلمين. وفي (التوضيح): الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار بسبب من الأسباب، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم من ذكروا آنفا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة ومن قتل مدبرا أو ما في معناه).

وفيما سبق من الأحاديث بيان أسباب الشهادة بالقتل، وأن كل مقتول في قتال مأذون له فيه شرعا فهو شهيد، وكل مقتول بغير حق، فهو مقتولا ظلما، وهو شهيد أيضا، وقاتله ظالم آثم، وحكمه حكم شهيد المعركة، على الصحيح، لا يغسل ولا يصلى عليه، لأن الغسل تطهير، وهو طاهر لا يحتاج لغسل، والصلاة عليه شفاعة له، وهو لا يحتاج لشفاعة المصلين

ودعائهم له، لأنه هو شهيد وشفيع لغيره يوم القيامة، فهو شهيد في حكم الدنيا بترك غسله والصلاة عليه، وشهيد في حكم الآخرة بثبوت أجر الشهداء له، بخلاف أسباب الشهادة الأخرى بغير القتال، كالمطعون والمبطون والحريق والغريق والهدم، فيثبت لهم وصف الشهادة دون أحكامها، فيغسلون ويصلى عليهم، ويثبت لهم أجر الشهادة الأخروي، وإن كان فضل شهيد المعركة في حرب العدو الكافر، وشهيد السلطان الجائر لا يعدلهما شيء، فمنازل الشهداء تتفاوت بحسب أسباب الشهادة، كما ورد في النصوص كحديث (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر).

كما لا يستدلّ على نفي الشهادة لهم والبشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، ولا بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، فإن هذه الآيات نزلت في شأن المشركين وأهل الكتاب الذين قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾، وقالوا: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ﴾، وقالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾، وكما

تفاخر مشركي قريش بخدمة البيت الحرام ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾!

فنفى عنهم ما زكّوا به أنفسهم، وأثبت التزكية للمؤمنين وحدهم ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾!

ولهذا نهى الشارع عن التشبه بالمشركين والضالين الذين يزكون أنفسهم؛ كما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ غيّر اسم برة بنت أم سلمة إلى زينب وقال: (لا تزكوا أنفسكم؛ فالله أعلم بأهل البر منكم).

وهذا من باب الأدب والتواضع لله، وتجنب خلق أهل الكتاب في غرورهم وتزكيتهم أنفسهم، والثناء عليها كذبا وجهلا، وهذا باب غير باب الشهادة للمؤمنين بالحق، والبشارة لهم بالوعد عند وجود أسبابها!

وربما استدلّ بعضهم بالحديث الصحيح في البخاري عن أم العلاء الأنصارية، وكانت بايعت النبي ﷺ (قالت: اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي مات فيه، فلما توفي، وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله

عليك أبا السائب، فشهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال: النبي ﷺ "وما يدريك أن الله قد أكرمه؟" قلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: "أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدرى -وأنا رسول الله- ما يفعل بي" ، قالت: فوالله لا أزكى أحدا بعده أبدا).

قالت: (فأحزنني ذلك فنمت، فأُريت له عينا تجري، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ذاك عمله يجري له).

فكما لا يفهم من قوله ﷺ: "والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به" نفي بشارات الله له ﷺ في محكم كتابه بمقامه الأسمى، ومنزله الأسنى، يوم القيامة؛ كما بشره به ربه وهو بمكة قبل الهجرة؛ كما في قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ ، وفي الإسراء ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ !

كذلك لا يفهم منه نفي بشارات الله للمؤمنين، وعثمان بن مظعون من خيارهم، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام بمكة، وهاجر الهجرتين، وممن

شهد بدرا، وكما في الصحيح: (وما يدريك لعل اطلع الله على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)!

وإنما أراد النبي ﷺ بذلك تعليمها الأدب مع الله في عدم الحكم بالقطع على أحد من عباده بجنة ونار قبل يوم الفصل بينهم إلا بوحي منه، ودلها على هذا الأدب بقوله عن عثمان بن مظعون: "والله إني لأرجو له الخير"، فلما رأت فيه الرؤيا أخبرها على الحقيقة بأنه عمله الصالح الذي يجري له!

ولهذا شهد النبي ﷺ لعبدالله بن حرام، كما في الصحيحين عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لما قتل أبي، جعلت أكشف الثوب عن وجهه، أبكي، وينهوني عنه، والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه)!

وقال ﷺ عن حارثة كما في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)!

وقال عن سعد بن معاذ، كما في الصحيحين عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أهدي للنبي ﷺ ثوب حرير، فجعلنا نلمسه ونتعجب منه، فقال النبي ﷺ أتعجبون من هذا، قلنا: نعم، قال: مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا).

وفي الصحيحين أيضا عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ)!

وكل هذه البشارات النبوية في أعيان هؤلاء الصحابة خاصة مؤكدة لحقيقة البشارات القرآنية العامة في شأن الشهداء منهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾، وقال للمؤمنين: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾!

وهذا أوان الشروع في هذا الجزء؛ لبيان حقيقة المحبة والولاية والشهادة، والبشرى بها، كما وردت في الكتاب والسنة، وبيان أسبابها وموجباتها، مرتبا على الأبواب، واقتصرت في الأربعين على ما كان منها في الصحيحين، أو في أحدهما، إلا أن لا أجد الحديث فيهما فمن الصحيح في

غيرهما، وقد زدت على الأربعين من الشواهد المرفوعة ما يؤكد تواتر الحديث أو شهرته، ومن الآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين ما يؤكد المعنى الذي تدل عليه، وجعلت الاستدلال بآيات القرآن أصلا، وصحيح السنة بيانا لها وفصلا:

الباب الأول: اشتراط الإيمان والعمل الصالح لتحقق المحبة الإلهية للعبد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة مريم].

- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في معنى الود قال: (يحبهم ويحببهم). رواه ابن أبي شيبة والطبري بإسناد حسن.

- عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال: (محبة في الناس في الدنيا)، وفي رواية عن ابن عباس أيضا: (الود من المسلمين في الدنيا). رواه عنه الطبري بأسانيد صحيحة.

- عن قتادة، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: (في قلوب أهل الإيمان. ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم). رواه الطبري بإسناد صحيح.

- عن عبد الرحمن بن زيد، قال: قال ابن المنكدر لأبي حازم: (يا أبا حازم ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيرا قط؟

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك، ولكن انظر الذي ذلك من قبله فاشكره، وقرأ ابن زيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾). رواه أبو نعيم في الحلية.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٤٥٠): (قال أهل العلم بتأويل القرآن -عن هذه الآية- منهم ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: يحبهم ويحببهم إلى الناس).

وقال في التمهيد (٢١/ ٢٣٩): (وفيه أن الود والمحبة بين الناس يبتدئها الله ويبسطها، والقرآن يشهد بذلك قال الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

قال المفسرون: يحبهم ويحببهم إلى الناس...

وذكر سنيد في تفسيره: حدثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس قال: إذا أحب الله عبدا ألقى له مودة في قلوب أهل السماء، ثم ألقى له مودة في قلوب أهل الأرض.

قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد، عن هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن ربيع بن زياد، عن كعب قال: والله ما استقر لعبد ثناء في أهل الدنيا حتى يستقر له في السماء.

قال سنيد: وحدثني شيخ، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الله ابن رباح، عن كعب قال: قرأت في التوراة أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض إلا كان بدؤها من الله ينزلها على أهل السماء،

ثم ينزلها على أهل الأرض، ثم قرأت القرآن فوجدت فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾).

الباب الثاني: اشتراط أن يكون حب الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله أشد مما سواهما لتحقق الإيمان والمحبة الإلهية:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

١- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها). متفق عليه.

- قال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥): (العاشر من شعب الإيمان، وهو باب في محبة الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فدل ذلك على أن حب الله جل جلاله من الإيمان؛ لأن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ إشارة إلى أن الإيمان يحرك على حب الله جل جلاله، ويدعو إليه).

الباب الثالث: اشتراط اتباع النبي ﷺ واتباع أصحابه لتحقق محبة الله ورضوانه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة آل عمران].

وقال عن اتباع أصحابه ﷺ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠]!

❁ عن الحسن البصري قال: (قال قوم على عهد النبي ﷺ: يا محمد، إنا نحب ربنا! فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علمًا لحبه، وعذاب من خالفه). رواه الطبري عنه من طرق.

❁ ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه بلفظ: (إن أقواما كانوا على عهد رسول الله ﷺ يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: اتباع محمد ﷺ تصديق لقولهم).

قال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥): (قال الله جل ثناءه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأبأن أن اتباع نبيه ﷺ من موجبات محبة

الله، فإذا كان اتباع النبي ﷺ إيمانا، فقد وجب أن يكون حب الله الموجب له إيمانا، وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ فأبان بهذا أن حب الله وحب رسوله، والجهاد في سبيله فرض، وأنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه، وبمثل ذلك جاءت السنة).

وقال في شعب الإيمان (٢/ ٦): (فأبان المصطفى ﷺ بهذا أن حب الله، وحب رسوله من الإيمان، وأبان بما قبله أن ترك متابعته؛ يدل على خلاف المحبة، وفي ذلك دلالة على وجوب المحبة، ووجوب ما تقتضيه المحبة من المتابعة والموافقة).

❁ عن محمد بن كعب قال: مر عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برجل يقرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، حتى بلغ: ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أُبيّ بن كعب!

فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه! فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم! قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! قال: لقد كنت أظن أنا رُفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا! فقال أُبي: بلى، تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾). رواه الطبري بإسناد حسن عنه.

- عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن، فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم.

قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابهم قال: ألا تقرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ الآية؟

أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه فيهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم؛ أن يتبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك). رواه أبو الشيخ الأصبهاني والواحدي في تفسيره بإسناد حسن عنه.

الباب الرابع: في صفات المؤمنين الذين يحبهم الله ويحبونهم:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة].

۞ عن عياض بن غنم الأشعري، أن النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري: (هم قوم هذا) يعني في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. رواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه

الذهبي، وهو كما قالا، ولفظه: (هم قومك يا أبا موسى، وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري).

- عن الحسن البصري قال في تفسير الآية: (هذا والله أبو بكر وأصحابه)، وفي رواية عنه: (نزلت في أبي بكر وأصحابه). رواه الطبري عنه طرق صحيحة.

- عن قتادة قال: (أنزل الله هذه الآية، وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه محمدا ﷺ ارتد عامة العرب عن الإسلام -إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس- قالوا: نصلي ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا! فكلم أبو بكر في ذلك فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها أو: أدوها فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه)! رواه الطبري بإسناد صحيح.

الباب الخامس: نداء الله بحب عبده في الملأ الأعلى ثم وضعه له في الأرض بين عموم المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [سورة غافر].

٢- عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض). متفق عليه.

۞ زاد مسلم في رواية عنه: (وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض).

❁ وزاد مسلم عن سهيل بن أبي صالح، قال: (كنا بعرفة، فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم - وكان أميرا على المدينة - فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبدالعزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس... فذكر الحديث).

❁ ورواه الترمذي وزاد في آخره: (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فأحبه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾، وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل: إني قد أبغضت فلانا، فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض).

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وزادها أبو عوانة في مستخرجه على صحيح مسلم، وبوّب (باب: البيان في عوام المسلمين إذا أحبوا الرجل المسلم أنهم يحبونه بحب الله عز وجل إياه، وكذلك إذا أبغضوا رجلا وإنه لا يوضع لرجل مسلم القبول في الأرض إلا بعد ما يحبه الله تعالى). وأورد تحته حديث أبي هريرة هذا.

وفيه عن سهيل بن أبي صالح (كنت مع أبي غداة عرفة، وعمر بن عبد العزيز أمير الحاج، فمر بنا، فقلت: يا أبه، والله إني لأرى الله عز وجل يحب عمر، قال: لم يا بني، قلت: لما جعل الله عز وجل له في قلوب الناس من المودة، فقال: إني سمعت أبا هريرة..) فذكر الحديث.

(قال العلاء بن المسيب: قلت لسهيل: ما القبول؟ فقال: المودة من الناس).

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٤٠): (هذا كلام خرج على العموم، ومعناه الخصوص، أي حبب أهل الطاعة إلى أهل الإيمان، وبغض إليهم أهل النفاق والعصيان، ودليل ذلك قوله ﷺ "القلوب أجناد مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"، وقال سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال: قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تسألن أحدا عن وده إياك، ولكن انظر ما في نفسك له فإن في نفسه مثل ذلك إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

قال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٦٢): (والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة، والميل إليه، والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، ويؤيده ما تقدم في الجنائز: أنتم شهداء الله في الأرض.

والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد، وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة استغفارهم له، وإرادتهم خير الدارين له، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله، محبا له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير... والحب على ثلاثة أقسام إلهي، وروحاني، وطبيعي، وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة، فحب الله العبد حب إلهي، وحب جبريل والملائكة له حب روحاني، وحب العباد له حب طبيعي) انتهى كلام ابن حجر.

والصحيح أن حب العباد له هنا المعتبر هو **الحب الإيماني**، لا الطبعي كما يحب الوالد ولده، وإنما حب المؤمنين بعضهم بعضا في الله، لما يظهر من صلاحهم، وجهادهم، وفضلهم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا)!

۞ عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: (إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال بذلك، فيقول الله لجبريل: إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض). رواه أحمد بإسناد حسن.

ورواه الطبراني في الأوسط وزاد في آخره ولفظه: (إن العبد يلتمس مرضاة الله عز وجل، فلا يزال كذلك. فيقول الله: يا جبريل، إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني، فرضائي عليه. قال: فيقول جبريل ﷺ: رحمة الله على فلان، وتقول حملة العرش، ويقول الذين يلونهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط إلى الأرض. فقال رسول الله ﷺ وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾، وإن العبد ليلتمس سخط الله، فيقول الله عز وجل: يا جبريل، إن فلانا يسخطني. ألا وإن غضبي عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، ويقول حملة العرش، ويقول من دونهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط إلى الأرض).

۞ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (المقة في السماء، فإذا أحب الله عبدا قال: إني أحببت فلانا فأحبوه. قال: فتنزل له المقة في أهل الأرض). رواه أحمد بإسناد حسن.

وزاد في رواية قال شريك الراوي للحديث: (المقة: هي المحبة والصيت من السماء، فإذا أحب الله عبدا قال لجبريل: إني أحب فلانا فينادي جبريل إن الله يمق، يعني: يحب، فلانا فأحبوه، أرى شريكا قد قال: فينزل له المحبة في الأرض، وإذا أبغض عبدا قال لجبريل: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه، قال: أرى شريكا قد قال: فيجري له البغض في الأرض).

الباب السادس: في إلقاء الله المحبة على عبده في الأرض:

قال تعالى عن موسى ﷺ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩].

۞ عن سلمة بن كهيل وابن عباس في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قالا: (حببتك إلى عبادي). رواه ابن أبي شيبة والطبري بإسناد صحيح.

الباب السابع: أثر الإيمان والعمل الصالح على سمت المؤمن وعلى حب المؤمنين له:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح].

- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ قال: (السمت الحسن).

- وعن مجاهد عنه (سيما الإسلام وسحنته وسمته وخشوعه). رواه الطبري عنه بإسناد حسن.

- عن قتادة، أن عثمان بن عفان كان يقول: (ما من الناس عبد يعمل خيرا، أو يعمل شرا، إلا كساه الله رداء عمله). رواه الطبري بإسناد صحيح إلى قتادة.

- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد وهو أمير بمصر: (سلام عليك، أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغضه إلى عباده). رواه معمر في الجامع وابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح.

الباب الثامن: عاجل بشرى المؤمن في الحياة الدنيا بثناء المؤمنين عليه وشهادتهم له بالخير:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس:٦٣].

٣- عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده أو يحبه الناس عليه؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن). رواه مسلم في صحيحه.

الباب التاسع: شهادة الجيران على جارهم بالخير أو الشر:

قال تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء].

٤- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: (ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين، إلا قال: قد قبلت علمكم فيه، وغفرت له ما لا تعلمون)، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال (ما من عبد مسلم يموت، يشهد له ثلاثة أبيات من جيرانه الأدنين بخير، إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا، وغفرت له ما أعلم). رواه أحمد بإسناد حسن بشواهده.

٦- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: (كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت). رواه أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح.

٧- عن كلثوم الخزاعي قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: (يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أني قد أحسنت، وإذا أسأت أني قد أسأت؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا قال جيرانك: إنك قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا قالوا: إنك قد أسأت، فقد أسأت). رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

الباب العاشر: في خيار الأئمة وشرارهم بشهادة المسلمين لهم عليهم:

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

٨- عن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم). رواه مسلم في صحيحه.

❁ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي! فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: وكذلك ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ والوسط: العدل). رواه البخاري.

الباب الحادي عشر: البشارة بالجنة للمؤمنين ولمن شهد له المؤمنون بالخير:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

٩- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: وجبت. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: وجبت. فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض). متفق عليه واللفظ للبخاري.

-ولفظ مسلم: (مر بجنازة فأثني عليها خيرا، فقال نبي الله ﷺ وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شرا، فقال نبي الله ﷺ وجبت، وجبت، وجبت، قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة، فأثني عليها خير، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة، فأثني عليها شر، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: من أثنيتم عليه

خيرا، وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا، وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض).

- ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أنس بلفظ: (أن جنازة مرت بالنبي ﷺ فقيل لها خيرا، وتتابعت الألسن لها بالخير. فقال النبي ﷺ وجبت، ثم مرت جنازة أخرى، فقالوا لها شرا، وتتابعت الألسن لها بالشر. فقال النبي ﷺ وجبت، أنتم شهداء الله في الأرض).

❁ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: (أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرا، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا، وهو يسمع). رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

❁ عن عمرو بن دينار قال: (ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشى به، فيجلس في قبره، يقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك). رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح.

❁ عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته بالنباوة - أو بالبناوة - من الطائف: يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، أو خياركم من شراركم، ولا أعلمه إلا قال: أهل الجنة من أهل النار. فقال قائل من المسلمين: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن، والثناء السيء، أنتم شهداء بعضكم على بعض). رواه أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح.

❁ وفي رواية: خطبنا رسول الله ﷺ بالنبأ أو بالنباوة من الطائف فقال: (توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، وخياركم من شراركم. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن، والثناء السيء، أنتم شهداء الله عَزَّوَجَلَّ بعضكم على بعض).

❁ وفي رواية: (الناس شهود بعضهم على بعض). رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والحاكم في المستدرك وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، وقال البخاري: أبو زهير الثقفي سمع النبي ﷺ، واسمه معاذ، وإسناد الحديث صحيح، ولم يخرجاه).

۞ عن سلمة بن الأكوع قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فأثنى القوم عليها ثناء حسنا، فقال رسول الله ﷺ: وجبت، قلنا: يا رسول الله، وما وجبت؟ قال: أنتم شهداء الله في الأرض، والملائكة شهداء الله في السماء، فإذا شهدتم وجبت، ثم قال: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾). رواه الروياني في مسنده والطبراني في الكبير بإسناد صحيح.

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (إن النبي ﷺ ذكر عنده رجل مات، فقالوا خيرا، وأثنوا خيرا، فقال رسول الله ﷺ وجبت، وذكر عنده رجل آخر، فقالوا شرا، وأثنوا شرا، فقال النبي ﷺ وجبت، قال: أنتم شهداء بعضكم على بعض). رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه.

۞ وزاد النسائي: (فقال النبي ﷺ الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض).

۞ وفي رواية: (ذكر عند النبي ﷺ رجل مات فأثني عليه شرا، فقال رسول الله ﷺ: وجبت، وجبت، وذكر عنده رجل فأثني عليه خيرا، فقال: وجبت، وجبت، فقال رجل: وجبت وجبت، أي: ما تعنى بوجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: بعضكم شهداء على بعض). رواه الطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في الأوسط.

قال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٣١): (وفي الحديث فضيلة هذه الأمة، وإعمال الحكم بالظاهر، ونقل الطيبي عن بعض شراح المصابيح قال ليس معنى قوله "أنتم شهداء الله في الأرض" أن الذي يقولونه في حق شخص يكون كذلك حتى يصير من يستحق الجنة من أهل النار بقولهم ولا العكس، بل معناه أن الذي أثنوا عليه خيرا رأوه منه كان ذلك علامة كونه من أهل الجنة، وبالعكس.

وتعقبه الطيبي بأن قوله "وجبت" بعد الثناء حكم عقب وصفا مناسبا فأشعر بالعلية، وكذا قوله "أنتم شهداء الله في الأرض"؛ لأن الإضافة فيه للتشريف؛ لأنهم بمنزلة عالية عند الله فهو كالتزكية للأمة بعد أداء

شهادتهم، فينبغي أن يكون لها أثر، قال وإلى هذا يومئ قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ الآية.

قلت وقد استشهد محمد بن كعب القرظي لما روي عن جابر نحو حديث أنس بهذه الآية، أخرجه الحاكم.

وقال النووي: قال بعضهم معنى الحديث أن الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل، وكان ذلك مطابقا للواقع فهو من أهل الجنة، فإن كان غير مطابق فلا وكذا عكسه.

قال: والصحيح أنه على عمومه، وأن من مات منهم فألهم الله تعالى الناس الثناء عليه بخير، كان دليلا على أنه من أهل الجنة، سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا، فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة، وهذا إلهام يستدل به على تعيينها، وبهذا تظهر فائدة الثناء. انتهى.

وهذا في جانب الخير واضح، ويؤيده ما رواه أحمد وبن حبان والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعا "ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرا إلا قال الله تعالى قد قبلت قولكم وغفرت له ما لا تعلمون".

ولأحمد من حديث أبي هريرة نحوه، وقال ثلاثة بدل أربعة، وفي إسناده من لم يسم، وله شاهد من مراسيل بشير بن كعب... وأما جانب الشر فظاهر الأحاديث أنه كذلك، لكن إنما يقع ذلك في حق من غلب شره على خيره، وقد وقع في رواية النضر المشار إليها أولا في آخر حديث أنس "إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر"، واستدل به على جواز ذكر المرء بما فيه من خير أو شر للحاجة، ولا يكون ذلك من الغيب.. وهو أصل في قبول الشهادة بالاستفاضة) انتهى.

الباب الثاني عشر: أقل ما تثبت به الشهادة بالخير للمؤمن والبشارة له بالجنة:

قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

١٠- عن أبي الأسود الديلي ظالم بن عمرو، قال: قدمت المدينة، وقد وقع بها مرض، فجلست إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فمرت بهم جنازة، فأثني

على صاحبها خيرا، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وجبت، ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها خيرا، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وجبت، ثم مر بالثالثة فأثني على صاحبها شرا، فقال: وجبت، فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي ﷺ (أيما مسلم، شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة. فقلنا: وثلاثة، قال: وثلاثة. فقلنا: واثنان، قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد). رواه البخاري في صحيحه.

الباب الثالث عشر: صلاة الله وملائكته ورسوله على المؤمنين وعلى من شهد له المؤمنون بالخير ومن صلّوا عليه ودعوا له:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

وقال لرسوله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣].

١١- عن أبي قتادة الأنصاري قال: (كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنازة سأل عنها، فإن أثني عليها خير، قام فصلى عليها، وإن أثني عليها غير

ذلك، قال لأهلها: شأنكم بها، ولم يصل عليها). رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الباب الرابع عشر: سرور المؤمن بعمله الصالح:

قال تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾ [سورة البقرة].

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رجل: (يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: له أجران، أجر السر، وأجر العلانية). رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه.

وقال الترمذي: (وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال: إذا اطلع عليه فأعجبه فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير، لقول النبي ﷺ "أنتم شهداء الله في الأرض"، فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا، لما يرجو بثناء الناس عليه، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء.

وقال بعض أهل العلم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يُعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضا).

۞ عن كعب الأحبار، أنه قال: (إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء). رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح.

الباب الخامس عشر: في البشارة باجتماع الحمد والأجر للعبد المؤمن في عمله الصالح:

۞ عن بشر بن قيس التغلبي، قال كان بدمشق رجل من أصحاب النبيﷺ يقال له: ابن الحنظلية، وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير، حتى يأتي أهله، قال: فمر بنا ونحن عند أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرك، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقدمت، فجاء رجل منهم، فجلس في المجلس الذي يجلس فيه رسول الله ﷺ فقال لرجل إلى جنبه: لو رأيتنا حين التقينا نحن والعدو فحمل فلان فطعن، فقال: خذها مني وأنا الغلام

الغفاري، كيف ترى في قوله؟ قال: ما أراه إلا قد بطل أجره، فسمع بذلك آخر، فقال: ما أرى بذلك بأسا، فتنازعا، حتى سمع رسول الله ﷺ، فقال: (سبحان الله! لا بأس أن يؤجر ويحمد).

فرأيت أبا الدرداء سرّ بذلك، وجعل يرفع رأسه إليه، ويقول: (أنت سمعت ذلك من رسول الله ﷺ؟ فيقول: نعم، فما زال يعيد عليه حتى إني لأقول: ليبركن على ركبتيه). رواه أبو داود وحسنه ابن حجر.

الباب السادس عشر: البشارة بالشهادة وبشفاعة الشهيد لأهله وإلحاق الذرية آباءهم في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الطور].

١٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله

فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد... والغريق شهيد). رواه مسلم.

۞ عن حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أنس بن مالك: بم مات يحيى بن أبي عمرة؟ قالت: قلت: بالطاعون، قالت: فقال: قال رسول الله ﷺ: (الطاعون شهادة لكل مسلم). رواه مسلم.

۞ عن نمران بن عتبة الذماري، قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام صغار، فمسحت رءوسنا، وقالت: (أبشروا يا بني، فإني أرجو أن تكونوا في شفاعة أبيكم، فإني سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته). رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

الباب السابع عشر: البشارة بالهداية والنجاة لمن آمن بالله ورسوله واتبع الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف].

١٣- عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا). رواه ابن حبان في صحيحه.

❁ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا

أبدا: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ). رواه مالك بلاغا والحاكم موصولا وصححه ووافقه الذهبي.

الباب الثامن عشر: البشارة بولاية الله ومحبته ومعيته لمن أدى الفرائض واجتنب الكبائر واجتهد بالنوافل:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ...﴾ [سورة يونس].

وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة التوبة].

١٤- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: (قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،

فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته). رواه البخاري في صحيحه.

❁ عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: (قال الله عَزَّوَجَلَّ: من أذل - أو آذى - لي وليا، فقد استحل محاربتي، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته، لأنه يكره الموت، وأكره مساءته). رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الزهد -بإسناد حسن لغيره- وزاد: (فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به).

الباب التاسع عشر: البشارة بالنور التام يوم القيامة لمن سعى إلى المساجد في العشاء والفجر:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة التحريم].

١٥- عن بريدة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة). رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن.

❁ عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (بشر المشائين في الظلم - أو الظلام - إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة). رواه ابن خزيمة والحاكم في صحيحهما.

❁ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله عز وجل: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال (يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نورا من نوره على إبهامه يطفئ مرة ويوقد أخرى). رواه ابن أبي شيبة والحاكم في صحيحه وصححه ووافقه الذهبي.

قال ابن رجب في فتح الباري (٦/ ٣٥):(وقد كان النبي ﷺ يصلي هاتين الصلاتين في الظلام، فإنه كان يغلس بالفجر غالبا، ويؤخر العشاء الآخرة، ولم يكن في مسجده حينئذ مصباح، فلم يكن يحضر معه هاتين الصلاتين إلا مؤمن يحتسب الأجر في شهودهما، فكان المنافقون يتخلفون عنهما ويظنون أن ذلك يخفى على النبي ﷺ وأيضا؛ فالمشي إلى المساجد في هذين الوقتين أشق؛ لما فيه من المشي في الظلم؛ ولهذا ورد التبشير على ذلك، بالنور التام يوم القيامة من وجوه متعددة.

من أجودها: ما خرجه أبو داود والترمذي من حديث بريدة..

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يرون أن المشي إلى الصلاة في الليلة الظلماء موجبة. يعني: توجب لصاحبها الجنة).

الباب العشرون: البشارة بالهداية والشهادة بالإيمان لمن حافظ على الصلوات في المساجد:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة].

١٦- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا عليه بالإيمان، قال الله جل وعلا ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾). رواه الترمذي وحسنه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

۞ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : (من صلى لله أربعين يوما في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق). رواه البزار والترمذي بإسناد حسن.

ورواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عنه موقوفا بلفظ: (من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوما، كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق).

الباب الحادي والعشرون: البشارة لمن جلس في المسجد يذكر الله ينتظر الصلوات:

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة النور].

١٧- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فعقب من عقب، ورجع من رجع، فجاء ﷺ وقد كاد يحسر ثيابه عن ركبتيه، وفي رواية: قبل أن يثوب الناس لصلاة العشاء، فجاء وقد حفزه النفس، رافعا إصبعه هكذا، وعقد تسعا وعشرين، وأشار بإصبعه السبابة إلى السماء، وهو يقول: (أبشروا معشر المسلمين، هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: هؤلاء عبادي قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى). رواه أحمد بإسناد صحيح.

الباب الثاني والعشرون: البشارة بالرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو يراه غيره فيه:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح].

١٨- عن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة). رواه البخاري في صحيحه.

١٩- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرى له).

۞ وفي لفظ: (كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم هل بلغت، ثلاث مرات، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له). رواه مسلم في صحيحه.

۞ عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؟ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له). رواه الترمذي بإسناد صحيح.

❁ عن أبي الطفيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ (لا نبوة بعدي إلا المبشرات، قال: قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الحسنة، أو قال: الرؤيا الصالحة). رواه أحمد بإسناد صحيح.

❁ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: (لا يبقى بعدي من النبوة شيء، إلا المبشرات، قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة، يراها الرجل، أو ترى له). رواه أحمد بإسناد صحيح.

❁ عن أم كرز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: (ذهبت النبوة، وبقيت المبشرات). رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الباب الثالث والعشرون: الرؤيا الحسنة من المؤمن الصالح جزء من النبوة والوحي الخفي:

٢٠- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (الرؤيا الحسنة، من الرجل الصالح، جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة). متفق عليه.

٢١- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة). متفق عليه.

٢٢- عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ (الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة). رواه مسلم في صحيحه.

۞ عن أبي رزين العقيلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: (الرؤيا جزء من سبعين جزءا من النبوة). رواه ابن حبان في صحيحه.

٢٣- عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (رؤيا الرجل المؤمن جزء من النبوة). رواه أحمد بإسناد حسن.

الباب الرابع والعشرون: التماس بشارات الوحي الخفي من السماء بالرؤى الصادقة:

٢٤- عن مالك بن صعصعة، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا، إنه ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة). رواه مالك في الموطأ وأبو داود وابن حبان في صحيحه.

الباب الخامس والعشرون: البشارة بصدق رؤى الصادقين:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [سورة التوبة].

٢٥- عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة). متفق عليه.

الباب السادس والعشرون: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والاستبشار باللقاء عند الموت:

قال تعالى: ﴿... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سورة الطور].

٢٦- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه). متفق عليه.

٢٧- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه). متفق عليه.

٢٨- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه. فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه). رواه مسلم.

٢٩- عن شريح بن هانئ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه)، قال شريح : فأتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثا إن كان كذلك، فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله

لقاءه)، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه). رواه مسلم في صحيحه.

الباب السابع والعشرون: البشارة لمن أحب النبي ﷺ وأطاعه بمعيته وصحبته يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٩].

٣٠- عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم). متفق عليه.

٣١- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب). متفق عليه.

٣٢- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: المرء مع من أحب). متفق عليه.

٣٣- عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قلت: (يا رسول الله، الرجل يحب القوم لا يستطيع أن يعمل بأعمالهم؟ قال: أنت يا أبا ذر مع من أحببت. قال: قلت: فإني أحب الله ورسوله. يعيدها مرة أو مرتين). رواه مسلم.

٣٤- عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب، وله ما اكتسب). رواه الترمذي وحسنه.

ورواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بلفظ: (فإنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت).

۞ عن صفوان بن عسال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاء أعرابي جهوري الصوت قال: (يا محمد الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب). رواه الترمذي وصححه، وابن حبان في صحيحه.

۞ عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (العبد مع من أحب). رواه أحمد بإسناد حسن.

الباب الثامن والعشرون: البشارة بالجنة لمن مات مؤمنا صادقا لا يشرك بالله شيئا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

٣٥- عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ (أتاني آت من ربي، فأخبرني -أو قال: بشرني- أنه: من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق).

وفي لفظ: (أتاني جبريل فبشرني)، وفي لفظ (فقال: بشر أمتك). متفق عليه.

الباب التاسع والعشرون: البشارة بعدم دخول العبد المؤمن النار:

٣٦- عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (أن النبي ﷺ قال ومعاذ رديفه على الرحل: يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا). وأخبر بها معاذ عند موته تأثما. متفق عليه.

٣٧- وعن عمرو بن ميمون، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار، فقال: (يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم، فيتكلوا). متفق عليه.

٣٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (كنا قعودا حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر، وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا، فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطا للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابا؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر

خارجة -والربيع الجدول- فاحتفزت، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال رسول الله ﷺ ما لك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي، قال: ارجع، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله، بأبي أنت، وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره

بالجنة؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ: فخلهم). رواه مسلم.

٣٩- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: (أتيت النبي ﷺ ومعي نفر من قومي فقال: أبشروا وبشروا من وراءكم، أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة، فخرجنا من عند النبي ﷺ نبشر الناس، فاستقبلنا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فرجع بنا إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، إذا يتكل الناس؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ).

وفي لفظ: (أبشروا وبشروا الناس: من قال: لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة. فخرجوا يبشرون الناس، فلقيهم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فبشروه، فردهم فقال رسول الله ﷺ: من ردكم؟ قالوا: عمر. قال: لم رددتهم يا عمر؟ قال: إذا يتكل الناس يا رسول الله). رواه أحمد بإسناد صحيح.

الباب الثلاثون: البشارة لمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله:

٤٠- عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة). رواه أبو داود وصححه الحاكم.

قال الحافظ ابن رجب في "تحقيق كلمة الإخلاص": (وأحاديث هذا الباب نوعان: أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، أو لم يحجب عنها، وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، وحديث أبي ذر معناه: أن الزنى والسرقة لا يمنعان من دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، ليس فيه أن لا يعذب يوما عليهما مع التوحيد.

والثاني: ما فيه أنه يحرم على النار، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها، أو على نار يخلد فيها أهلها، وهي ما عدا الدرك الأعلى، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين وفي الصحيحين: إن الله تعالى يقول: "وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله"..).

فاللهم إنا آمنا بك وبرسولك، وصدقنا بوعدك، وقبلنا بشارتك، ورضينا بك ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا ونبينا، وأحببناك، وأحببنا رسولك، فاجعلنا ممن أحببتهم، ورضيت عنهم، وممن ختمت لهم بخاتمة السعادة، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، ووالدينا، وأهلينا، والمؤمنين أجمعين، اللهم آمين آمين.

تم هذا الجزء

في صباح يوم الجمعة ١١ شوال ١٤٤٠هـ - ١٤/ ٦/ ٢٠١٩م

في بشاك شهير -إسطنبول

حماها الله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفهرس

